الإعجاز البياني في القرآن

سورة البروج

محمد مبارك المزيودي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ
أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا
يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ
﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ
وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾
هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾

البروج: ١ - ٢٢

سور ة البروج

مكية بأتفاق ، وهي ثنتان وعشرون آية

مقاطع السورة

١ – أصحاب الأخدود والمؤمنون

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ البروج: ١ – ٩

٢ – مآل أصحاب الأخدود ومآل المؤمنين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ البروج: ١٠ – ١١

٣ – قدرة الله على تحقيق المآلين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ البروج: ١٢ – ١٦

٤ – شاهد على هذه القدرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ البروج: ١٧ – ١٨

٥ – التفات إلى سبب النزول

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ البروج: ١٨ – ٢٢

قصة أصحاب الأخدود

الأخدود هو شق الأرض، وأصحاب الأخدود هو أولئك الذين حفروه وأشعلوه فيه ناراً عظيمة ثم ألقوا فيه المؤمنين، فأصحاب الأخدود هو الفجار وقد يسري أيضاً على الذين آمنوا، وهو ما سأ فصِّله لاحقاً .

وكان من كرامة المؤمنين والمؤمنات الذين أُلقي بهم في الأخدود أن جعلهم الله مثلاً يبين فيه للناس ماأعده للمؤمنين من كرامة، وماأعده للفجار من عذاب، وقد فصّل المصطفى صلى الله عليه وسلم خبر أصحاب الأخدود ، فقال:

﴿ كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلى غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلَّمه، فكان في طريقة إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر.

فبينما هو كذلك إذا أتي على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ، فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حى يمضي الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بُني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ماأرى، وإنك ستُبْتلَى، فإن أبتُليت فلا تدل على. وكان الغُلام يُبرئ الأكمة والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء

فسمع جليس الملك، كان قد عمي، فأتاه هدايا كثيرة فقال: ماها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: أني لاأشفي أحد، إنما يشفي الله، فإن أنت أمنت بالله دعو الله فشفاك، فآمن بالله

فشفاه الله، فأتى فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك : من ردِّ عليك بصرك ؟ قال ربي، قال : ولك ربٌ غيري ؟! قال : ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بنيّ ! أقد بلغ من سحرك ماتبرئ الأكمة والأبرص، وتفعل وتفعل ؟! فقال إني لاأشفي أحداً، إنما الله يشفي الله. فأخده فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: أرجع عن دينك، فأبى فأتى بالمنشار فوضع المنشار في مفرقة رأسه فشقه حتى وقع شقّاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، ، فأبى فوضع المنشار في مفرقة رأسه فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جيء بالغلام فقيل له، ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصَعِدوا به الجبل فقال: اللهم اكفينهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، زجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: مافعل أصحابك ؟ قال كفاينهم الله، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرقور فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفينهم بماشئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك : فقال له الملك : مافعل أصحابك؟ قال كفاينهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ماآمرك به،قال: وماهو؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات. فقال الناس : آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام فأُتي الملك فقيل له: أرايت ماكنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حَذَرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخُدَّتْ وأضرم النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فأَحْمُوه فيها أوقيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : ياأُمه، اصبري فإنك على الحق} رواه مسلم والترمذي بمعناه.

هذا هو خبر أصحاب الأخدود وذكره في سورة من السور المكية يشير إلى أن دكرى خبرهم هو تثبيت للمؤمنين الذين كانوا يكابدون العذاب الشديد على أيدي كفار مكة، وفي ذكر خبرهم بيان من الله للمؤمنين في كل زمان بأن الصبر على سطوة المشركين ابتلاء وامتحان من الله، فقال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٢

التفسير والبيان

١- أصحاب الأخدود

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ البروج: ١ - ٩

ذكر الله عز وجل في هذه الآيات أصل خبر الأخدود فذكر أصحابه الذين أعَدُّوه وذكر المؤمنين الذين ألقى بهم فيه. وابتدأ ذلك بالقسم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ ﴾ البروج: ١

الواو واو القسم، ﴿السماء ﴾ مقسم به ﴿ ذات البروج ﴾ صفة للسماء أي أنه سبحانه يقسم بالسماء من حيث كونها ذات بروج، وقد أقسم بها في مواضع أخرى بغير هذه الصفة، فقال: ﴿ والسماء ذات الحُبك ﴾ وقال ﴿ والسماء ذات الرجع ﴾ فما معنى البروج ؟

البُرج في اللغة هو الحصن أو القصر، أي أن البرج هو البناء المرتفع والسماء مرتفعة، فقد ذكر الله أن خلقها كان بناءً : ﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون ﴾ وهذه البروج التي تشمل عليها السماء أبنية بناها الخّلاق العليم، ووصفت بأنها بروج لأنها أبنية مرتفعة، وقد ذكر الأولون من تلك البروج مايلي :

هي أثنا عشر برجاً، وهي منازل الكواكب والشمس والقمر، يسير القمر في كل برج منها يومين وثلث يوم، فذلك ثمانية وعشرون يوماً ، ثم يستسر ليلتين وتسير الشمس في كل برج منها شهراً، وهي الحَمَل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ ﴾ البروج: ٢

هو يوم القيامة بلاخلاف بين أهل التأويل، يقسم جل شأنه بذلك اليوم بعد القسم بالسماء ذات البروج، فهل هناك من تناسب بين القسمين؟

لما تقارب أمر رسو ل الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حُجبت الشياطين عن السمع، وحِيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمرٍ حدث من أمر الله في العباد ....

قال ابن اسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها- هذا الحي من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يُقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج، قال : وكان أدهى العرب وأنكرهكا رأياً، فقالوا له: ياعمرو، ألم تر ماحدث في السماء من القذف بهذه النجوم؟ قال : بلى، فانظروا فإن كانت معالم النجوم، يُهتدى بها في البر والبحر وتُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معايشهم، هي التي يُرْمى بها فهو والله طيُّ الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها، وإن كانت نجوماً غيرها، وهي ثابتة على حالها، فهذا لأمر أراد الله بهذا الخلق، فما هو ؟

فهذه البروج التي يعرفها الناس من منازل الشمس والقمر مستقرة في مواقعها، واستقرارها مؤشر على استقرار الحياة الدنيا، وزوالها عن مواقعها مؤشر على زوال الحياة الدنيا وقيام ﴿ اليوم الموعود ﴾ .

﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ ﴾ البروج: ٣

هذا هو الركن الثالث من أركان المقسم به، يقسم جل شأنه بشاهدٍ ومشهود، وقد ذكر أهل التفسير في ذلك أقوالاً عديدة:

- الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة. لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أو هريرة: ﴿ اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة ﴾ رواه الترمذي ، وفي سند الحديث ضعيف .□
- وعن علي رضي الله عنه: الشاهد يوم عرفة ، والمشهود يوم النحر.□
- وقال سعيد بن المسيب: الشاهد التروية، والمشهود يوم عرفة.□
- وقال ابن عباس والحسين بن علي رضى الله عنهما: الشاهد هو محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى:﴿يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ الأحزاب ٤٥□

والمشهود يوم القيامة،لقوله تعالى﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود هود﴾هود١٠٣

- وقيل الشاهد هو الله،لقوله﴿ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم ﴾الأنعام١٩ والمشهود عليه هم الناس .....□

وأقوال أخرى عديدة ذكرت في تأويل ﴿ وشاهد ومشهود ﴾مع استناد كل منها إلى آية قرآنية تذكر لفظ الشهادة . وأمام كل تلك الأقوال لن يتيسر لنا ان نستقر على قولٍ فصلٍ في البيان، ولذلك وجب النظر في مبنى الآية واستنباط مافيهما من دلالة:

- ﴿ شاهد ﴾ اسم فاعل من : شهد يشهد، وهو فعل يأتي لازماً، أي لايأخذ مفعولاً به، ويأتي متعدياً إلى مفعول به، وفي كل حالةٍ يكون لفعل الشهادة مستوى دلالي مخصوص، وفيما يلي أمثلة للإيضاح والبيان: □

شَهِدَ سعدٌ لسعيد { أو على سعيد } ⟵ فعل لازم لايأخذ مفعولاً به.

شَهِدَ سعدْ فعْل سعيد ⟵ فعل متعدٍّ، أخذ مفعولاً به: فِعْل

ففي المثال الأول : سعيد مشهود له { أو عليه }

وفي المثال الثاني: فعل سعيد مشهود، وفي هذه الحالة تتوجه دلالة الكلمة إلى الرؤية البصرية مثل قوله تعالى : ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ والمعنى : تشهده الملائكة بمعنى تحضره .أما الفعل اللازم فلا يحمل دلالة الرؤية إنما يحمل دلالة الإدلاء بكلمة حق تبين الحق من الباطل، وبين الفعلين المتعدي واللازم اقتران، لأن الذي يشهد لفلان أو يشهد عليه في أمر من الأمور إنما يشهد بما شهده ببصره أو بغير ذلك

لقد اقتصرت الآية على كلمتين ﴿ شاهد ومشهود ﴾ ولم يذكر معها شيء يدل على أن المراد هو الشهادة أو الشهود ولم يُذكر مايحدد الشهادة أهي لصالح المشهود له أم هي عليه. فدل تجرد الكلمتين من كل ذلك على إرادة كل ذلك:

شاهد كذا. بمعنى رآه، وكذلك مشهود بمعنى مرئي.

شاهد لفلان أو على فلان. وهي الشهادة وكذلك هو مشهود له أو عليه .

وشاهد بكذا وهو الذي يدلي بالشهادة ومشهود بكدا وهي الشهادة.

فكان تجرد الكلمتين مما من شأنه أن يقيدهما بأي مما سبق سبيلا لإرادة كل ماسبق، لتكون الكلمتان بذلك مشتملتين على كل ماذكره أهل التفسير، بل وأكثر من ذلك، فكل مامن شأنه أن يكون شاهداً أو مشهوداً في السماء أو الأرض مُدرج في هذه الآية.

وقد جاءت الكلمتان نكرتين، والنكرة تفيد العموم، فدلنا ذلك على كل مامن شأنه أن يكون شاهداً أو مشهوداً .

* ومجيء هذه الآية بعد ذكر ﴿ اليوم الموعود ﴾ يستدعي أن تكون دلالة

﴿ وشاهد ومشهود ﴾ مُتجليةً في ذلك اليوم الذي تقوم فيه محكمة العدل الإلهية .

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ﴾ البروج: ٤

هذا جواب القسم في قول الفراء – واللام فيه مضمره

وقيل جواب القسم محذوف ، أي : والسماء ذات البروج لتبعثن .

جواب القسم في هذا الموضع حالة كحال جواب القسم في ﴿ النازعات ﴾ وكنت قد ذكرت بيان ذلك في تلك السورة، أما هنا فنني سأضيف وجهاً آخر لذلك البيان. وهو أن جواب القسم قد يأتي مُقترناً بإن أو باللام أو بقد وقد يأتي متُجرداً من كل ذلك ، وأمثلة ذلك في كتاب الله: ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خُسر ﴾العصر ١،٢

﴿ ....بلى وربي لتبعثن .....﴾ التغابن ٧ .....المقسم به ﴿ وربي ﴾ واقترن جواب القسم باللام ونون التوكيد الثقيلة.

﴿ وهذا البلد الأمين . لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾التين٣،٤ ..اقترن جواب القسم باللام وقد.

﴿ ن والقلم ومايسطرون . ماأنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ القلم: ١،٢ ...جاء جواب القسم ﴿ ماأنت ...﴾ مجرد من أدوات التوكيد

وعلى ذلك فإن قوله تعالى ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ يصلح أن يكون جواباً للقسم في أول السورة. إذ يُقسم جل شأنه على أن أصحاب الأخدود الذين حفروه وملأوه نار ملعونون،

لما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه عنهما من أن كل ﴿ قُتل ﴾ في القرآن تعني لُعن واللعن في اللغة هو الطرد عموماً، وفي الشرع هو الطرد من رحمة الله

والملاحظ في كل الشواهد السابقة أن جواب القسم جاء مفرداً أي حاملاً لقضية دلالية ذات ركن واحد، تصدر عنه فروع كما في سورتي ﴿ التين والعصر ﴾ أو تُعطف عليه أركان أخرى كما في سورة ﴿ القلم ﴾ .

أما المستوى الثالث لجواب القسم فهو عدم ذكره على واحدة من الصور السابقة، وذلك بسبب اشتمال جواب القسم على عدة أركان لاعلى ركن واحد ففي هذه الحالة يتم سرد هذه الأركان، ليكون في ذلك السرد رسماً تفصيلياً لما أراد الله عز وجل القسم عليه...

فالقول بأن ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ هو جواب القسم يحصر جواب القسم فيما تدل عليه الآية. والقول بأن جواب القسم محذوف، تقديره ﴿ لتبعثن ﴾ تقدير ناقص، لأن دلالة البعث المجردة لاتحمل دلالة مايأتي بعده، وقد أراد الله تعالى أن يبين أركان ماأقسم عليه، وهو أن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات سيكون لهم عذاب جهنم وعذاب الحريق، وأن المؤمنين والمؤمنات الذين تعرضوا للفتنة لهم جنات تجري من تحتها الأنهار . ولذلك ترك المولى عجل ذكر جواب القسم ووضع مكانه المشهد التفصيلي لذلك الجواب بأركانه العديدة . وهذا النسق البياني في جواب القسم نجد له حضوراً في سورتي النازعات والانشقاق

* ﴿ الأخدود ﴾: الشق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق، وجمعه أخاديد. وقوله ﴿ قُتل ﴾ إخبار منه سبحانه بقتل أصحاب الأخدود المجرمين، وذكر أن ﴿ قُتل ﴾ تعني ﴿ لُعن ﴾ أمّا وجه التناسب بينهما فهو أن القتل يحرم الإنسان من متعة الحياة، والذين يلعنهم الله قوم مقتولون يوم القيامة، مع أنه ليس ثمة قتل، إنما استخدم هذا اللفظ للدلالة على أن أصحاب الأخدود محرومون من النعيم يوم القيامة، وهو معنى القتل الذي يصيب الإنسان في الحياة الدنيا .

﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ ﴾ البروج: ٥

الآية السابقة لهذه الآية تصلح أن تكون جواباً للقسم، ولكنه جواباً مجملاً لايحمل تفصيلاً، فجاءت هذه الآية والآيات التالية لها تفصيلاً لذلك الإجمال. ففي الآية السابقة ذكر لفظ ﴿ الأخدود ﴾ وهو مضاف إليه مجرور، فجاءت هذه الآية لبيان حقيقة ذلك الأخدود بكلمة ﴿ النار ﴾ وهي بدل اشتمال من الأخدود، والبدل تابع من التوابع، ولذلك جاءت ﴿ النار ﴾ تحمل نفس الحركة الإعرابية، الجر بالكسرة .

ثم وُصفت هذه النار بأنها ﴿ ذات الوقود ﴾ والوقود بفتح الواو هو الحطب الذي تزداد به النار اشتعالاً، وفي ذكر هذه الصفة إشارة إلى حرص أصحاب الأخدود على اضطرام هذه النار، وإصرارهم على إحراق الذين آمنوا

إن المشهد الذي يبين مااستحق به أصحاب الأخدود ﴿ القتل ﴾ لم يكتمل، إذ ليس في خدّ الأرض وإشعال النار في ذلك الأخدود مايستوجب الغضب من الله، فجاءت الآيتان التاليتان لإكمال المشهد:

﴿ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ ﴾ البروج: ٦ – ٧

أسند الله إلى أصحاب الأخدود صفتين كانتا مناط غضب الله عليهم الصفة الأولى في حالهم مع النار ﴿ عليها قُعُود ﴾ والثانية في فعلهم بالمؤمنين ﴿ شُهُود ﴾ وفيما يلي تفصيل الصفتين:

* ﴿ عليها قعود ﴾ أي على النار ذات الوقود، والقعود هنا لايعني أنهم جلسوا عليها، إنما أراد بقعودهم عليها متابعتها وتغذيتها بالوقود حتى لاتخبو ألسنة اللهب فيها، وهذا الأستخدام لكلمة ﴿ قعد ﴾ في اللغة استخدام شائع، ومن ذلك قول الشيطان، لعنة الله لرب العالمين: □

﴿ ....لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ الأعراف ١٦

فهو لايعني بذلك أن يجلس على مقعدته في طريق بعينه، يتربص فيه عباد الله، إنما يعني به الحرص الشديد على ردِّهم عن شرع الله .

وقد قدم الجار والمجرور ﴿عليها﴾ على متعلقه ﴿ قعود ﴾ فأفاد هدا التقديم دلالة الاختصاص، ووجه الاختصاص في ذلك بيان حرصهم البالغ على إذكاء النار بالوقود، لتبقى ألسنة اللهب مرتفعة، وماذاك إلا لحرصهم البالغ على إحراق المؤمنين

* ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ ﴾ البروج: ٧

﴿ شهود ﴾: جمع شاهد، اي حاضر، لأن الذي يحضر الشيء يشهده، أي يراه. فبين جل شأنه بإثبات هذه الصفة أنهم بلغوا الحد الأقصى في الأستهانة بالمؤمنين والجرأة عليهم، إذ أن قسوة المشهد لم تردعهم عن أن يشهدوه، بل إن قسوتهم وشدتهم لم تردعهم حتى عن رؤية النار وهي تأكل أجساد النساء والأطفال، إنها لقسوة مابعدها قسوة. وقد قدم الجار والمجرور ﴿ على مايفعلون بالمؤمنين ﴾ على متعلقة ﴿ شهود ﴾ لإفادة الاختصاص الذي يتوجه إلى إفادة مدى ماكانوا يشتملون عليه من جرأة على المؤمنين وقسوة لم تدع للنساء والأطفال فسحة للرحمة..

* استخدام الضمائر في الآية قد يومئ إلى ثلاثة أطراف

﴿ هم ﴾ تتوجه إلى جماعة بعينها، وخبرها ﴿ شهود ﴾ أي يشهدون

﴿ يفعلون ﴾واو الجماعة تتوجه إلى الجماعة الآثمة المجرمة.

﴿ بالمؤمنين ﴾الطرف الثالث الذي انصبّت عليه دلالة ﴿ يفعلون ﴾

هذا النسق البياني هو نسق رئيس في بينه دلالة الجملة في اللغة العربية حتى أن الفكرة ليذهب في أول مذهب له إلى هذا المعنى . وواقع الأمر أن الضميرين﴿ هم، واو الجماعة ﴾ يذهبان إلى طرف وأحد، هم أصحاب الأخدود الذين أوقدوا النار، فكيف يتعدد الضمير والمتحدث عنه واحد؟

إن في ذلك التفاتاً إلى أن ذات الإنسان شاهد ومشهود في وقت واحد فجسد الإنسان يأتمر بأمره في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يأتمر بأمر الله، فالضمير ﴿ هم ﴾ يذهب إلى الجسد يوم القيامة، وواو الجماعة تذهب إلى الجسد حال كونه مؤتمراً بأمر صاحبه في الحياة الدنيا، فأجسادنا التي نستخدمها في الحياة الدنيا في تحقيق مرادتنا تشهد علينا أو لنا يوم القيامة، قال تعالى:

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾فصلت: ٢٢

* قراءة أخرى

هذه القرءاة ليست نقضاً للقراءة السابقة، إنما هي وجه من وجوه روعة البيان في القرآن، وذلك أن دلالة ﴿ أصحاب الأخدود ﴾ لاتقتصر على الذين حفروه وأوقدوا النار ثم ألقوا بالمؤمنين فيه، بل تتوجه أيضاً إلى المؤمنين الذين ألقي بهم في ذلك الأخدود، فُهم أيضاً أصحاب الأخدود، ولكن من وجهٍ آخر

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ ﴾البروج: ٤ - ٥

﴿ قُتل ﴾ سنأخذها بمعناها الأصلي، وليس بمعنى﴿ لُعن ﴾ كما جاء في التأول السابق، والذين قُتلوا هم المؤمنون، وقد قُتلوا حرقاً بنار الأخدود..

﴿ أصحاب الأخدود ﴾ وهاتان الكلمتان تحديداً هما الوثيقة الكبرى في هذه القراءة، فقد كان بالإمكان أن يقال: قُتل أصحاب النار ذات الوقود، وفي وهذه الحالة لن يتوجه المعنى إلا إلى أولئك الكافرين الذين أوقدوا النار، ولكن الله تعالى أراد للنص أن يمضي في خطين دلاليين متوازيين، الدلالة على المؤمنين والدلالة على الكافرين، فقال ﴿ أصحاب الأخدود ﴾ مراعاة للمؤمنين، وهو نسق بياني فصيح انتهجه العرب في كلامهم، ومن ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ ليلاً، زمن خلافته، بقوم قد أوقدوا ناراً، فلما أراد أن ينادي عليهم قال: يأهل الضوء، ولم يشأ أن قول ياأهل النار، لما التصق بهذه الكلمة من دلالة على أهل النار يوم القيامة.

ولهذه الغاية البيانية النبيلة قال تعالى ﴿ قُتل أصحاب الأخدود ﴾ لأنه أراد للمؤمنين، ثم قال ﴿ النار ذات الوقود ﴾ لبيان أن الكافرين أيضاً كانوا مقصودين بكلمة ﴿ أصحاب الأخدود ﴾

﴿ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ ﴾ البروج: ٦

﴿ هم ﴾ أي المؤمنون، وهم قعود عليها أي مستقرون في جوفها

﴿ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ ﴾ البروج: ٧

وقد كان أولئك المؤمنون شهوداً على مايفعله أصحاب الأخدود المجرمون بهم .

﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ﴾ البروج: ٨

المعنى: ومانقم أصحاب الأخدود الكافرون من أصحاب الأخدود المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد.

﴿ ومانقموا ﴾ للفعل ﴿ نقم ﴾ على وزن فعلٍ،فإذا زيد ألفاً وثاءً أصبح: انتقم، والانتقام ردة فعل يُبديها الرجل، غضباً من أعتداءٍ وقع عليه من طرف آخر،فيبطش بمن اعتدى عليه. وفي إطار هذا المعنى جاء قوله: ﴿ ومانقموا منهم إلا .....﴾ لأن مافعله أولئك الكافرون بالمؤمنين كان ردة فعل منهم على أمر فعله أولئك المؤمنون، فماذا فعلوا ؟

لم يصدر عنهم أدنى أذى ليُعاقبوا عليه حرقاً في نار الأخدود، الشيء الوحيد الذي كان منهم هو أنهم آمنوا بالله وحده، ولم يُتْبعوا إيمانهم بأذية أحدٍ من الناس، وقد استُخدم أسلوب الحصر ﴿ ما- إلا ﴾ لحصر نقمة أولئك الكفار من هؤلاء المؤمنين في سبب واحد، وهو أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، فَذم الله فعل الكافرين وبين فداحته من جهتين: الأولى أنهم لم يفعلوا تلك الجريمة بالمؤمنين لذنب اقترفوه في حقهم، والثانية أنهم أحرقهم لأنهم اختاروا الإيمان بالحقيقة العظمى في الوجود وهي توحيد الله. فهل هذا أمر يستحق العقاب ؟ بل وأشد العذاب وهو الحرق في نار الأخدود .

﴿ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ البروج: ٨

﴿ الله ﴾ هو الاسم الدال على التوحيد، لأنه الاسم الذي لم يتسم به أحدٌ غير الله، أي أن الذين أُلقي بهم في الأخدود كانوا موحِّدين وقد أُتبع هذا الاسم باسم من أسمائه الحسنى المشتركة ﴿ العزيز الحميد ﴾ وفي ذلك إشارة إلى تعلق هذا الاسم بدلالة التوحيد، ثم إن اختتام الآية به يستدعي وجود مناسبة بينه وبين السياق، فما هو وجه هذا التناسب.؟.

أُسند الفعل ﴿ نقموا ﴾ إلى الطائفة التي أحرقت المؤمنين، وهم لم ينقموا منهم شراً أتوا به إليهم، إنما نقموا منهم أن أتوهم بخير عظيم لو كانوا يعلمون، فكان ماقدره الله من اعتناق تلك الطائفة عقيدة التوحيد رحمة منه سبحانه، وهو مايوجب على الناس أن يحمدوا الله ولذلك ذُكر اسمه ﴿ الحميد ﴾ وفي ذكر هذا الاسم إشارة إلى عظم ذنب أصحاب الأخدود الكافرين، وذلك أنهم حرّقوا المؤمنين لخير عظيم أتوهم به، فبدلاً من أن يحمدوا الله على هذه النعمة

حرقوا من أتاهم بها . وقد جاء اسمه سبحانه ﴿ العزيز ﴾ سابقاً لاسمه ﴿ الحميد ﴾ للدلالة على أن مايريده الله بالناس من رحمة لايستطيع أحد أن يردها بأي حال من الأحوال.

وتسري أيضا دلالة ﴿ العزيز الحميد ﴾ على المؤمنين وعلى ماأصابهم، وذلك أن الله أنعم عليهم بالإيمان، فكان ذلك رحمة منه بهم، والرحمة تستوجب الحمد، وذكر اسمه ﴿ العزيز ﴾ الذي يعني الغلبة والمنعة، إشارة إلى أن هذه الرحمة، التي استحق بها الحمد ليس لأحد أن يمنعهامن الوصول إلى محلها، فلم تستطع النار التي أضرمها الكفار أن تردّ الذين آمنوا عن إيمانهم.

بل إن رحمته سبحانه بهم قد بلغت حدها الأعلى، وهو بلوغ مقام الشهادة في سبيل الله، وهو مايستوجب الحمد، وذكر ﴿ العزيز ﴾ سابقاً لاسمه ﴿ الحميد ﴾ للدلالة على أن ذلك الفضل العظيم ممتنع من أن يرده شيء، وكان مظهر ذلك أن الله ثبت قلوبهم، فلم تتهاو إرادة الإيمان لديهم أمام التهديد بالحرق بالنار .

لقد كان اسمه سبحانه ﴿ العزيز الحميد ﴾ المظلة المطلة على كل أركان ذلك المشهد، وفيما يلي رسم لذلك البناء .

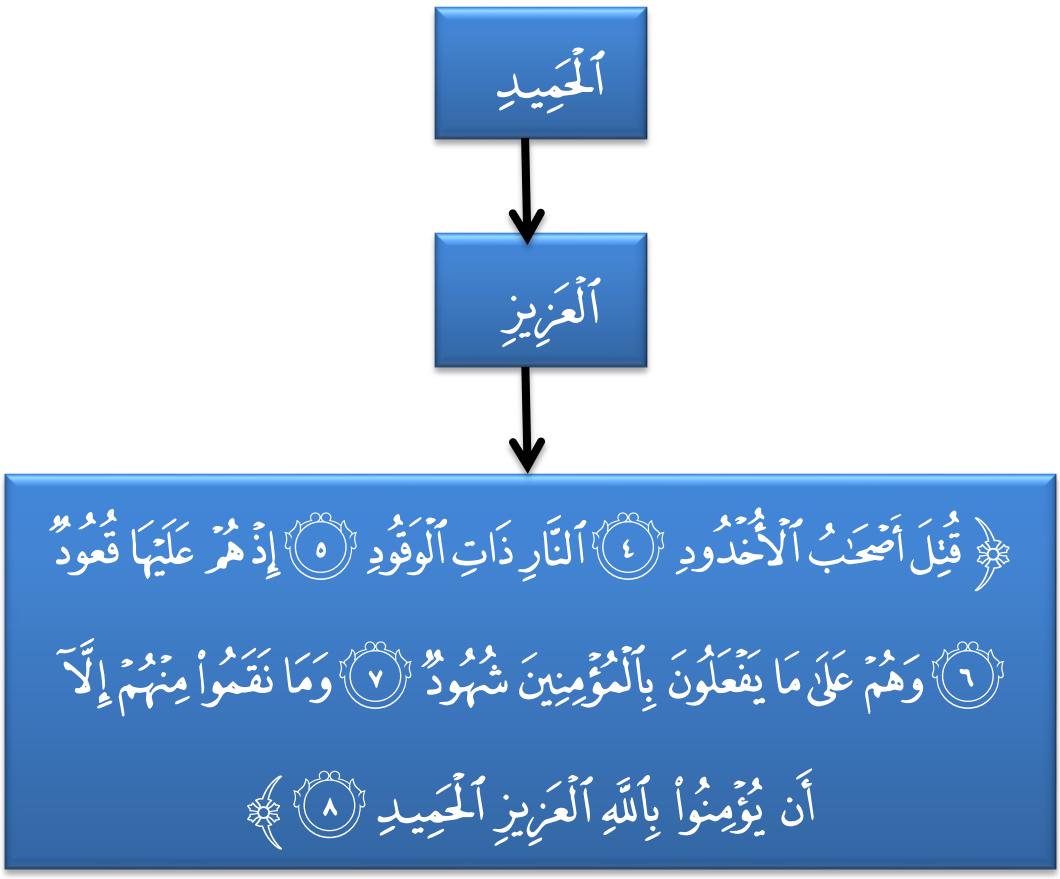

فمن موجبات حمده سبحانه فعاليات اسمه ﴿ العزيز ﴾ وكان من شواهد عزته ذلك المشهد المذكور من خبر أصحاب الأخدود، مؤمنهم وكافرهم .

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ البروج: ٩

- الذي: اسم موصول وصل مابعده بما قبله، فإذا كان الاسم ﴿ العزيز الحميد ﴾ قد جاء وصفاً للفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ فإن هذه الآية قد جاءت لتذكر وصفاً آخر له سبحانه ﴿ له ملك السموات والأرض ﴾ □

ومجيء هذه الصفة بعد ذكر ﴿ العزيز الحميد ﴾ بيان لآفاق دلالة هذا الاسم وهو جريان أحوال السموات والأرض وفق دلالته، فالسموات والأرض ملك لله تعالى، هو من خلقها، وهو مدبر أمورها، فإذا التفتنا إلى صبره سبحانه على كفر من كفر، وعدم قطع عطائه عنهم وعن سواهم شهدنا له بأنه ﴿ حميد ﴾ أي مستحق للحمد. ومع ذلك فإن هذا الإجراء لايعني أن مراداته في عباده يغلبها أحدٌ ويردها عن أن تكون حاصلة في السموات والأرض، فهو العزيز، أي الممتنع من أن يُغلب على مراده، وهو العزيز حتى وإنْ بطش أهل الكفر في الدنيا بأهل الإيمان.

- ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ البروج: ٩□

في هذه الآية التفات إلى القسم المذكور في أول السورة وهو ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ فإذا كان الخلق جميعاً يتقلبون مابين شاهد ومشهود فإن الله شاهد على كل شاهد وكل مشهود ...□

فالخلق على كثرتهم كما وكيفاً، على مشهد من الله تعالى، فهم واقعون تحت سمعه وبصره، وهو في معية كل شيء، يشهده شهود حضور لا شهود غيبة، قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الحديد: ٤

* العلاقة بين ركني القسم

القسم يتكون من ركنين : المقسم به والمقسم عليه، وقد أقسم جل شأنه بجملة أشياء على لعن أصحاب الأخدود على مافعلوه بالمؤمنين، فهل هناك من تناسب بين الركنين ؟

- قَسَمه سبحانه ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ يتناسب مع قوله سبحانه في جواب القسم ﴿ الذي له ملك السموات والأرض ﴾ □
- وقسمه سبحانه:﴿ واليوم الموعود. وشاهد ومشهود ﴾ يتناسب مع، قوله سبحانه ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ وذلك أن دلالة ﴿ شاهد ومشهود ﴾ يتم تفعيلها في ﴿ اليوم الموعود ﴾ فإذا كان الخلق في ذلك اليوم بين شاهد ومشهود فإن الله شهيد على كل ذلك، وماشهادات الشاهدين في اليوم الموعود إلا من شهادة رب العالمين .□

٢- مآل أصحاب الأخدود ومآل المؤمنين

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ البروج: ١٠ - ١١

أراد المولى عز وجل أن يذكر مآل أصحاب الأخدود ومآل المؤمنين الذين حُرّقوا بالنار فذكر ماأراد، إلا أنه التفت من الخاص إلى العام فلم يقف بالبيان عند حد خبر أصحاب الأخدود بل

توجه إلى دكر كل من يفعل فعلهم إلى يوم القيامة، ولم يشترط في الفتنة أن تكون حرقاً بالنار إنما أطلق دلالة الفتنة: ﴿ إن الذين فتنوا ....﴾ فمن يفتن مؤمناً أو مؤمنة بأي وسيلة من وسائل الفتنة مآله كمال أصحاب الأخدود : ﴿ فلهم عذاب جهنم وعذاب الحريق ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾

فتن فلان الدرهم والدينار إذا ادخله الكور لينظر جودته، ودينار مفتون ويسمى الصائغ الفتان... ووَرِق فتين أي فضة محترقة. وهذا مافعله أصحاب الأخدود بالمؤمنين توعدوا كُل من لم يرجع عن إيمانه بإلقائه في النار، وهنا تجلى معدن الإيمان، فقد كان إيماناً متأصلاً لم يزعزعه أو يهدمه الخوف من النار البشرية ..

ولكن دلالة الفتنة لاتقف عند حدّ التهديد بالنار لصرف الإنسان عن دينه، فقد يفتن الإنسان عن دينه بشيء يحبه، قال تعالى

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنفال: ٢٨

ويدخل في ذلك مايعده الكفار من برامج نفسية وفكرية واجتماعية واقتصادية لخداع أهل الإيمان وجرهم بعيداً عن دينهم، وهم شهود، أي يعدون الفتنة، ويتابعون حركاتها في المؤمنين وحركة المؤمنين فيها .

* ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ ﴾□

اختار جل شأنه حرف العطف { ثم } الذي يفيد الترتيب مع التراخي، وفي ذلك إشارة إلى أنه لايأخذ القائمين على الفتنة أخذاً مباشراً أوقريباً إنما يمهلهم، وفي هذا الإمهال دلالتان:

الأولى : رحمته بعباده وحلمه عنهم، فلعل القائم على الفتنة يتوب من اثمه فينحو من عذاب جهنم وعذاب الحريق يوم القيامة.

الثانية : ابتلاء مافي قلوب أهل الإيمان من إيمان، لأن القلب المشتمل على إيمان قليل ليس له أن يكون يوم القيامة في درجة من كان إيمانه عالياً، قال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٢

والتوبة من الذنب هو الإقلاع عنه والعزم على عدم الرجوع إليه، وفي الدين لايتوب إلى الله إلا من كان مؤمناً به، وواقع الحال إن جُل مايفتن به المؤمنون يأتي من قبل الكفار والمشركين، فكيف يُدْعى إلى التوبة من لم يكن مسلماً ؟

نلاحظ أن فعل التوبة لم يقترن بما يُدل على أن القائم على الفتنة هو مسلم، أي أن التوبة المرادة هي توبة الفتّان مسلماً كان أن كافراً، وقد ختمت الآية بما يشير إلى ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿ فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ إذ ذكر في الآية عذابان: عذاب جهنم وعذاب الحريق، فإذا نظرنا في كتاب الله لم نجد اجتماعاً للعذابين إلا في هذه الآية، وفيما عدا ذلك لانجد إلا ذكراً لأحدهما هنا أو هناك. فالكافر موعود لعذاب جهنم، قال تعالى:

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ ﴾ الملك ٦

فكُفره سيفضي به إلى عذاب جهنم، فإن جمع مع كفره فتن المؤمنين والمؤمنات جمع الله عليه عذابين، عذاب جهنم وعذاب الحرق. وكذلك الفتان من أهل الإسلام يجمع الله عليه عذابين يوم القيامة، لأنه أكثر إجراماً من الكافر، حيث أنه يفتن المؤمنون والمؤمنات وهو معدود في جملة المسلمين، فخطره على المؤمنين والمؤمنات أشد من خطر الكفار ، أي أنه حاله كحال المنافقين

الذين هم في الدرك الأسفل من النار ، والذين قال فيهم سبحانه :﴿ هم العدوّ ﴾ فخصهم بعداوة المسلمين دون غيرهم من الأعداء، لعظيم أثرهم على المؤمنين والمؤمنات في فتنتهم عن دينهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١ ﴾ البروج: ١١

بعد أن ذكر المولى عز وجل مآل ﴿ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ﴾ جاء ذكر مآل الذين آمنوا، وفي هذه الآية أيضاً تم الالتفات من الخاص إلى العام، فالخاص هم المؤمنون والمؤمنات الذين صبروا على إيمانهم فأحرقوا على أيدي أصحاب الأخدود، أما العام فهو كل مؤمن، في كل زمان ومكان، يكابد القهر والاضطهاد أو الاستهزاء بسبب إيمانه، فيصبر على مايجد، ولايتحول عن إيمانه، والإيمان لايقف على حد مايعتقده القلب، بل هو سارٍ على كل عملٍ مؤسس على الإيمان.

* ﴿ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾

عطف العمل على الإيمان بحرف العطف الواو، والعطف هنا ليس عطفاً طارئاً بمعنى أن الإيمان يجزئ عن العمل، بل هما قرينان متلازمان لايأتيان إلا معاً ولايذهبان إلا معاً .

﴿ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾

أي لكل واحد منهم جنات، والجنة في اللغة تعني البستان، فلكل أمرئ منهم جنّات تعج بالأنهار في مُلكه، نهر من ماء غير آسن، ونهر من خمر لذة للشاربين، ونهر من عسل مصفى،

ونهر من لبن لم يتغير طعمه، وشاهد ذلك ماأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول رب العالمين لآخر الناس دخولاً إلى الجنة وذلك بعد أن يخرجه من النار:

﴿ أيُرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال: يارب، أتستهزئ بي وأنت رب العالمين ﴾ رواه مسلم.

فإذا كان هذا السعيد، أقل الناس ملكاً في الجنة وتحت يديه ضعف مافي الدنيا أجمع فما مدى مساحة البساتين المخصصة له ؟ أفلا يليق بها أن تكون فيها أنهار بحجم تلك الأنهار التي تجري في الحياة الدنيا ؟

- ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾□

الفوز ثمرة ينالها المرء بعد عبور المشقة، ومقابل الفوز الخسارة، قال تعالى

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ العصر: ١ - ٣

فالحفاظ على الإيمان وتكبد مشقة الصبر على فعل مأيرضي الله تعالى هو المضمار، فمن يصمد في هذا المضمار سيصل إلى خطّ النهاية، ويكون من الفائزين، وجائزته هي ا لجنة، وهي جائزة المؤمنين والمؤمنات الذين تحملوا الحرق بالنار على أن يرجعوا عن الإيمان بوحدانية الله. وجائزة من يتمسك بشرع الله أمام مايحيكه أهل الضلال لأهل الإيمان من فتن

وقد وُصف الفوز بالجنة في هذه الآية بأنه ﴿ الكبير ﴾ ووصف في مواضع أخرى بصفتين أخريين هما : المبين والعظيم وكل صفة من هذه الصفات نظرت إلى الفوز من جهة مخصوصة :

المبين : هو الظاهر الجلي الواضح، إذ أن الفوز في الحياة الدنيا قد يُختلف في كونه فوزاً، وقد يكون فوزاً، من جهة، ومن جهة أخرى قد لايكون فوزاً. أما الفوز بالجنة فهو الفوز المبين الذي لايختلف على حقيقته اثنان، ولاتلحقه شبهة ولاتعتريه شائبة.

الكبير: صفة تَمَّ النظر فيها إلى حجم الفوز الذي يناله المؤمن في الجنة، وهو ماأشرنا إليه عند بيان كلمة ﴿ جنات ﴾ قال تعالى:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ الإنسان: ٢٠

﴿ العظيم ﴾ : وهي صفة تطلق على الشيء إذا كان جليل القدر والمقام، وما يناله المؤمن في الجنة شيء عظيم، أعظم من أن يستوعبه عقل الإنسان حال كونه من أهل الدنيا، ولأضرب لذلك مثلاً بصفة المرأة في الجنة:

إن المرأة في الجنة ذات مواصفات جليلة القدر والمقام ﴿ عظيمة ﴾ المرأة الدنيوية ليست شيئاً أمامها ، ومما جاء في بيان صفة المرأة في الجنة:

- ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: ٢٥

فهن مطهرات من كل ماقد ينقص من كمال حسنهن، لايتبولن ولايتغوطن ولايمتخطن ولايحضن

- ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ الرحمن: ٥٨

فشبهن بالياقوت في صفاء اللون، وبالمرجان في البياض.

- ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ الصافات: ٤٩

- ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الواقعة: ٢٢ – ٢٣

المكنون : المصون حتى لايغيره اختلاف أحوال الزمان والاستعمال. فالمرأة في الجنة ذات مواصفات عالية، أذكر منها أيضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿...لكل امرئ ممنهم زوجتان، يُرى مُخ سُوقهما من وراء اللحم ﴾ رواه مسلم والبخاري

وكل ماذكر من صفات لايرقى إلى الحقيقة الفعلية لجمال وكمال الحور العين، لأن الله عز وجل أعطانا من صفاتهن في حدود ماقد يدركه عقل الإنسان، وقد اشار جل شأنه إلى المستوى العظيم الذي ستكون عليه النعمة في الجنة بقوله في الحديث القدسي:

﴿ أعددْت لعبادي مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ﴾

فإذا قيس مستوى النعمة التي ستكون في الجنة بما هي عليه في الحياة الدينا فإنها ستكون عظيمة، أي جليلة القدر والمقام، وهي دلالة وصف الفوز بالجنة بالفوز العظيم.

٣- قدرة الله على تحقيق المآلين

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج: ١٢ - ١٦

خمس آيات ذكر الله عز وجل فيها جملة من صفاته، ومن شأن وجودها في نسيج السورة أن يجعل لها تعلقاً بما سبقها من آيات، وهو ما أشْرتُ إليه بعنوان هذا المقطع :

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

- ﴿ البطش ﴾ : هو الأخذ بعنف وسرعة، فإذا وُصف بالشدة كان ذلك دليلاً على ان العنف والسرعة يتجاوزان الحد الذي تشمل عليه كلمة بطش، وفي ذكر هذه الصفة إشارة إلى أمرين أثنين:□

الأول: البطش لايكون إلا عن غضب شديد، فكان في ذكر هذه الصفة بعد ذكر مافعله أصحاب الأخدود وذِكر الذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات إشارة إلى أن فتنة المؤمن عن دينه أمر عظيم يستدعي غضب الله تعالى وكان مظهر غضبه سبحانه أنه أعد لهم يوم القيامة عذابين، عذاب جهنم وعذاب الحريق. وهم في الدنيا أيضاً لدلالة بطش الله تعالى، وشواهد ذلك في كتاب الله عديدة، وهو ماذكره الله من بطشه بالأقوام الذين أصرّوا على الكفر وعلى فتن المؤمنين والمؤمنات، قال الله تعالى في شأن قوم لوط.

﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ ﴾ القمر: ٣٦

الثاني: وفي ذكر بطش الله الذين يفنون المؤمنين تخفيف مما قد يجده المؤمنون في أنفسهم من وطأة مايلقونه ممن يريدون فتنهم، والمؤمنون ليسوا فقط أولئك الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ، بل هم المؤمنون في كل زمان ، وفي كل مكان. فالآية وعد من الله بالبطش بالذين يفتنون المؤمنون وفق سنته في خلقه، وهي سنة الإمهال لا الإهمال .

- وقد صاغ جل شأنه هذا البلاغ في ثلاثة مستويات يقينية :□

الأول: كلمة﴿ بطش ﴾ الدالة على الأخذ بعنف وسرعة

الثاني: وصف البطش بأنه ﴿ شديد ﴾ يرفع من دلالة العنف والسرعة.

الثالث: تأكيد هذا البلاغ بمؤكدين اثنين لابمؤكد واحد، وهما { إن _ واللام } . □

- ضمير الخطاب في قوله تعالى ﴿ ربك ﴾ يتوجه في الأصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم بحكم أنه المخاطب الأول بكلام الله، ثم هو خطاب لكل مؤمن ومؤمنة على مرّ الزمان، وفي توجُّه الكاف إلى محمد صلى الله عليه وسلم نجد المعنيين التاليين□

المعنى الأول: كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة: ١٢٨

فكان يشق عليه ماكان يلقاه أتباعه من اضطهاد قريش وتعديب من كان مستضعفاً منهم، فقص الله عليه خبر أصحاب الأخدود تحت عنوان قوله سبحانه :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الفرقان: ٣٢

المعنى الثاني: التفات في البيان إلى سبب ذكر خبر أصحاب الأخدود وهم ماكان يلقاه المؤمنون في مكة من بطش مشركي مكة بهم. فبعد أن ذكر الخبر جاء الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم فذكر فيه ماتوعد الله به الذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات، بدون أن يكون في ذلك انفصال عن الخطين المذكورين:

الخاص: المؤمنون على عهد أصحاب الأخدود.

العام : عموم المؤمنين.

ففي كل ذلك يمضي قوله تعالى ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾

البروج: ١٣ – ١٦

كل هذه الصفات مدرجة في إطار قوله : ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾بدليل أن الآية التي بعدها جاءت شاهداً على بطشه سبحانه: ﴿ هل أتاك حديث الجنود. فرعون وثمود ﴾ .

ولذلك وجب بيان هذه الصفات وفقاً لمضمون بطشه سبحانه، وذلك كما يلي:

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾

- الجملة بدون الضمير ﴿ هو ﴾ جملة مكتملة، لأن الضمير في ﴿ إنه ﴾ يغني عن ذكره، هذا من حيث اللغة، أما من حيث آفاق البيان فإن ذكر الضمير ﴿ هو ﴾ يفيد معنى يُفتقد حال تركه، وهو الاختصاص، أي قصر دلالتي، الإبداء والإعادة على الله وحده، فهو وحده الذي يبدئ ويعيد.□
- الفعلان ﴿ يبدئ ويعيد ﴾ الماضي منهما: أَبْدأ وأعاد، وكل منهما على وزن أفعل المزيد بالهمزة، والتي زيدت للتعدية، وهما بدون الهمزة فعلان لازمان: بدأ وعاد، إذا أُسند إلى الفاعل دلاّ على أنه بدأ أو عاد من تلقاء نفسه، أمّا زيادة الهمزة فتفيد أن الله هو الذي يعطي البداية للشيء، ولولا هذا العطاء لما بدأ، ومثال ذلك أن النطفة حال ابتدائها في عملية التخليق لاتبدأ من تلقاء نفسها، بل الله الخالق البارئ المصور هو الذي أبدأها أي قدّر لها ذلك الابتداء. وكذلك هو فعل الإعادة، لايعود الشيء إلى الوجود بعد انقضائه إلا بأمر من الله، قال تعالى:□

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ الروم: ٢٧

فما الغاية من ذكر هذه الحقيقة بعد ذكر بطش الله ؟

ذكر إبداء الخلق وإعادته بعد التلويح ببطش الله بالذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات فيه بلاغ للذين كفروا بأن موتهم ويلَي أجسادهم لن يردّ بطش الله عنهم، لأنه سيعيد خلقهم يوم القيامة، وشاهد هذه الإعادة مايشهدونه من ابتداءات خلق الإنسان من الزوجين:

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ الواقعة: ٦٠ - ٦٢

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ البروج: ١٤

- الآيتان : ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ ، ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ تذكران صفتين واجبتين لله، فهما على نسق قوله تعالى:

﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ الحجر: ٤٩ ــ ٥٠

فالغفور الودود تناظر الغفور الرحيم.

وبطش الله الشديد يناظر عذابه الأليم.

و الناس عند الله إما على هذه الصفة أو على تلك، ونلاحظ في كلا الموضعين التشابه بين سياق سرد الصفتين، ففي جهة النفع وصف جل شأنه نفسه بما يدل على ذلك ﴿ الغفور الودود، الغفور الرحيم﴾ وفي جهة مايؤدي الإنسان لم يصف جل شأنه نفسه بمدلول الصفة، إنما وصف الأذى الذي سيوقعه عز وجل بالكافرين:: ﴿ بطش ربك لشديد ، عذابي هو العذاب الأليم ﴾

- إلا أننا نلاحظ أن آيتي سورة البروج توسطتهما آية ﴿ إنه هو يُبدى ويعيد ﴾ فما هي دلالة ذكر هذه الآية بينهما ؟ □

الناس عند الله فريقان، فريق واقع تحت بطش الله، وفريق واقع تحت دلالة اسمه ﴿ الغفور الودود ﴾ والكل واقع تحت دلالة قوله ﴿ يبدئ ويعيد ﴾ فهو جل شأنه الذي أبدأ خلقهم والقادر على البطش بهم أو المغفرة لهم، فإذا ماتوا أعاد الله خلقهم ليبطش بهم إذ أراد أو يغفر لهم.

- اسم الله ﴿ الغفور ﴾ اقترن بأسماء أخرى وهي : الرحيم والحليم والشكور وقد تكرر اقترانه بكل اسم من تلك الأسماء، وذلك بنسب متفاوته، إلا أنه لم يقترن باسمه ﴿ الودود ﴾إلا مرة واحدة، وهي تلك المذكورة في سورة ﴿ البروج ﴾ ولأن السياق الذي ورد فيه هذا الاسم سياق عام فإن الأمر يستدعي أن تكون دلالة ﴿ الودود ﴾ دلالة واسعة تندرج في أنحائها بواعث الغفران المذكورة في الأسماء الثلاثة الأخرى، فهل ذلك كذلك ؟□

ورد في كتب اللغة أن الودود تعني ا لمُحب، والله عز وجل يحب الأنسان ولهذا الحب فضله على كثير مما خلق، ومن الشواهد البليغة على حبه سبحانه للإنسان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿ لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة، ومعه راحلته، عليها طعامه أو شرابه، فوضع رأسه فنام نومةً، فأستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتى اشتد عليه الحر والعطش أوما شاء، قال : أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه، فوجد راحلته عنده ﴾ رواه البخاري ومسلم

ففرح الله البالغ بعودة العبد الآبق إليه منشؤه حب الله للإنسان، وقد جاء في كتب الأثر أن مما جاء في الثوراة أن الله قال: ياابن آدم إني لك مُحب، فبحقي عليك كن لي مُحباً. وعلى هذا

الحب تأسست ثلاثة أبواب للغفران : الرحيم والشكور والحليم، يغفر جل شأنه غفران رحمة ﴿ الغفور الرحيم ﴾ وغفران شكر ﴿ الغفور الشكور ﴾ وغفران حلم ﴿ الغفور الحليم ﴾ وكل ذلك أجراه جل شأنه لأنه ﴿ الودود ﴾ أي المحب.

بل إن دلالة ﴿ الودود ﴾ تنساق إلى ماهو أوسع من ذلك، وهو مانجد بيانه في كتاب ﴿ تجديد الأسماء الحسنى ﴾الذي يذكر أن الاسمين المشتركين من أسماء الله الحسنى المشتركة قد يشتركان في البيان العام إذا جاء الاسم المفرد الثاني من الاسم المشترك الأول اولا في الاسم المشترك الثاني، وهو ما طبقناه على اسمه سبحانه﴿ الرحيم الودود ﴾ حيث جاء اسمه تعالى ﴿ الرحيم ﴾ ثانياً في الأسماء المشتركة التالية: الرؤوف الرحيم – الغفور الرحيم- البّر الرحيم- الرحمن الرحيم-التواب الرحيم- العزيز الرحيم، وفيما يلي رسم لذلك التأسيس.

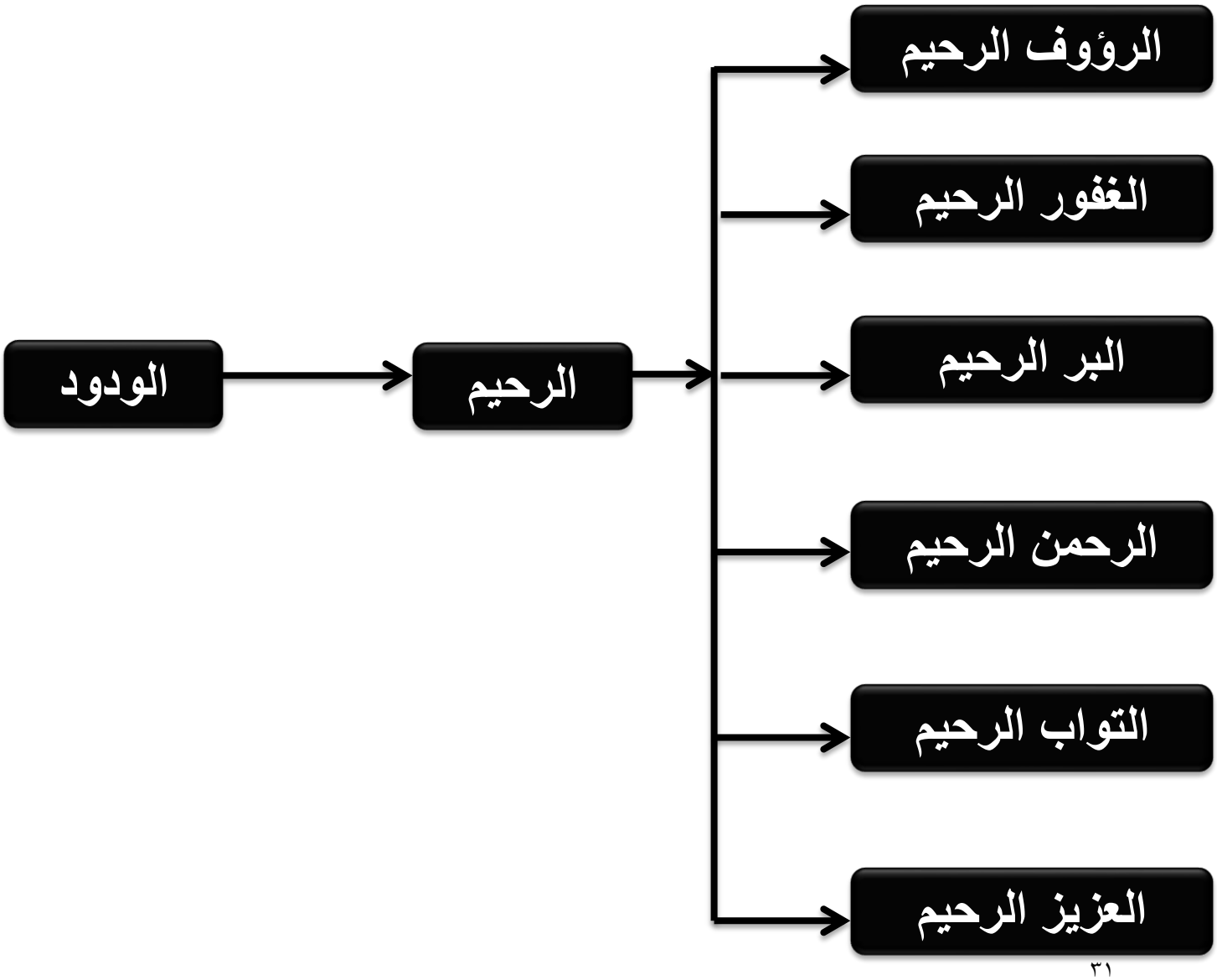

فاسمه سبحانه ﴿ الودود ﴾انبثقت عنه صفة ﴿ الرحيم ﴾ ومن صفة ﴿ الرحيم ﴾ انبثقت وجوه عديدة للرحمة، وهي دلالات : الرؤوف والغفور والبر والرحمن والتواب والعزيز .

وبذلك يتبين لنا مافي دلالة ﴿ الغفور الودود ﴾ من عموم يستوعب كل تلك الدلالات، وهو مايتوافق مع دلالة العموم التي استملتت عليها الآيتان السابقتان لتلك الآية .

﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج: ١٥ – ١٦

هاتان الآيتان هما المظلة التي تُعرش فوق فعاليات الآيات الثلاث السابقة، فهي بيان لمبعث تلك الفعاليات، وأبدأ بقوله ﴿ فعال لما يريد ﴾ لقرب دلالتها من هذا البيان، فالله عز وجل لايسأله أحد عما يفعل ، ولذلك هو يفعل مايريد، قال تعالى:

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٣

ولذلك هو يبطش بمن يشاء، ويغفر لمن يشاء، ولابد من التنبيه إلى أن كل ذلك يجري وفقاً لما يليق به سبحانه من جلال وجمال وكمال

﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ ذو ﴾: بمعنى صاحب، أي صاحب العرش ومالكه، فما العرش وما مناسبة ذكره في هذا السياق ؟

﴿ العرش ﴾: السقف، وعرش البيت سقفه، وقد وردت في كتب التفسير معانٍ أخرى، بعضها قريب، وبعضها بعيد، ولست هنا بصدد مناقشة الأصل الذي انبثقت عنه هذه المعاني، ولذلك اكتفيت بالمعنى الأقرب والأجلى للكلمة وهو ماذكرته قبل قليل . قال تعالى

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

ذكر المولى عز وجل ثلاثة مواضع لبيوت النحل: الجبال والشجر وما يعرش الناس، ودلالة الموضعين الأولين على الارتفاع سياق يستوجب سريان هذه الدلالة على عرائش الناس، فهي السقوف التي يُنشئونها، إما لبيت أو لغير ذلك.

فالعرش هو سقف السموات والأرض ، قال تعالى

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ يونس: ٣

وقال صلى الله عليه وسلم

﴿...إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن....﴾ رواه البخاري وابن ماجه.

فالجنة درجات، أعلاها درجة الفردوس، فالعرش سقف الجنة جميعاً ويتميز الفردوس عن سائر درجات الجنة بأنه الأقرب إلى ذلك السقف، بل إن عرش الرحمن سقف للأرض والسموات جميعاً، فحد أحوال الخلق هو ذلك العرش، ومافوق العرش لايبلغه علم احد من الخلق، وهو ماذكره في تأويل قوله تعالى:

﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ النجم: ١٤ - ١٥

حيث ورد في جملة تأويلات ﴿ سدرة المنتهى ﴾ أنها شجرة التي لايجاوزها أحد، وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم، ولايعلم أحد ماوراءها.

ومما يشير إلى وقوع الخلق جميعاً تحت العرش قوله تعالى

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ الأعراف: ٥٤

وبالنظر إلى أن العرائش لاتُنصب إلا لشيء من شأنه أن ينتفع بذلك التعريش فإن قيام العرش فوق خلق السموات والأرض ومافيهما فيه إشارة إلى انتفاع كل ذلك الخلق بالعرش وتعلق أحوالهم ومصائرهم به، وقد ذكر الله من جملة أسمائه اسمه ﴿ المجيد ﴾ لتناسبه مع جملة أحوال الخلق في الأرض وفي السموات، فما هي دلالة هذا الاسم ؟

﴿ المجد ﴾: المرؤة والسخاء، وقيل : الكرم والشرف، وقيل هو الأخد من الشرف والسؤدد مايكفي، وقيل هو كرم الفعال.

فكل مادُكره من معان لايتحقق إلا من خلال فعاليات تقوم بها الذات، فالإنسان، مثلاً، لايكون ذا مجد إلا إذا أُنيطت به فعالية ذات شرف وفضل عظيمين، ولهذا فإن المعنى الأقرب إلى دلالة المجد هو كرم الفعال، وبالنظر إلى أن الفعال المقصودة هي التي يخدم بها الفرد سواه من الناس، فإني سأسميه كرم العطاء، فإذا كان العطاء عظيماً استحق صاحبه التعظيم والثناء.

وبذلك نفهم أن اسمه سبحانه ﴿ المجيد ﴾ يحمل دلالة العطاءات العظيمة، وقد قرئت كلمة ﴿ المجيد ﴾ بالكسر على أنها صفة العرش، ولاتتعارض هده القراءة بالضم ، لأن اتصاف العرش بصفة المجد إنما هو من فيض مجده سبحانه، لأن مايتنزل من العرش من صروف الخلق والأمر على الخلق جميعاً إنما هو من أمر الله: ﴿ ألاله الخلق والأمر ﴾ الاعراف ٥٤

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾

- فعال: صيغة مبالغة من ﴿ فعل يفعل ﴾ وبالنظر إلى سياق الآيات سنجد مستويين لدلالة ﴿ فعال ﴾ □

المستوى الأول: دلالتا البطش والغفران، ففي كل منهما يفعل الله مايريد، قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٢٩

وعلى ذلك فإن هذه الآية وسابقتها تمثلان سقفاً﴿ عرشاً ﴾ للآيات الثلاث السابقة لهما

المستوى الثاني: خلق الله لايقف عند حد خلق الإنسان والبطش بمن كفر والمغفرة لمن تاب، فما خلق الإنسان في ملكوت السموات والأرض إلا شيء يسير، فعلى كل هذا الملكوت الذي لايعلم حده أحد إلا الله تسري دلالة ﴿ ذو العرش المجيد. فعال لما يريد ﴾ فهو يتصرف { يفعل } في ملكه ما يريد ..

- فعال: صيغة مبالغة تفيد كثرة الفعل، وهذه الكثرة تمضي على وجهين: الكم والكيف، فالكم مظهره في كثرة خلق الله، فلله مع كل فرد من أفراد ذلك الخلق فعل معلوم. والكيف مظهره في جلال وعظم كل فعل من أفعاله سبحانه، ومثال ذلك خلق النطفة وخلق إنسان من هذه النطفة، فهو فعل عظيم تليق به دلالة { فعّال } لا دلالة فاعل.

٤- شاهد على هذه القدرة

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ ﴾ البروج: ١٧ – ١٨

- ﴿ هل أتاك ﴾ ليس استفهاماً على حقيقته، إنما هو استفهام تقريري، أي : قد أتاك... إلا أنني بالإذن من أهل اللغة أحب أن أنقب عن آفاق استخدام ﴿ هل ﴾ مكان قد؟

إن مجيء الجملة في أسلوب الخبر: قد أتاك لايحرك في نفس المخاطب سوى فاعلية التلقي، أما مجيء الجملة في أسلوب الإنشاء ﴿ الاستفهام ﴾ فإنه يدفع المتلقي إلى التفاعل مع مدلول الكلام، لأن المستفهم يطلب ممن توجه إليه الاستفهام أن يردّ عليه بجواب ذلك الاستفهام، وهو مامن شأنه أن يدفع المخاطب إلى المبالغة في الالتفات إلى مضمون ذلك الاستفهام وهو ماأُطلق عليه عند أهل البلاغة لفظ إثارة الانتباه والاهتمام

وقد توجه ضمير للخطاب الكاف في قوله ﴿ أتاك ﴾ إلى محمد صلى الله عليه وسلم ودلالة ذلك هي ذات الدلالات التي ذكرناها في كلمة ﴿ ربك﴾

- ﴿ حديث ﴾ خبر، وهو حديث فعلي تحدّث به المولى عز وجل إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، و هو ماأنزله عليه من قرآن، والقرآن كلام الله.
- ﴿ الجنود ﴾ اختُير هذا اللفظ تحديداً لبيان بطش الله بالإنسان حال كونه في أقوى وأشد حالاته، ففي الحروب، مثلاً، ليس لمن لم يكن جندياً أن يكون بأسه كبأس من كان جندياً.

﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ ﴾

- بدل من ﴿ الجنود ﴾ وقد تم اختيارهما ذات الغاية لتي اختير لها لفظ ﴿ الجنود ﴾ وهي بلوغ الحد الأقصى في السلطان والطغيان، فأما فرعون فقد بلغ به الطغيان أن ادّعى الأولهية، وهو قوله لأهل مصر :

﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ النازعات: ٢٤

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ القصص: ٣٨

وقد أشار جل شأنه إلى سلطانه في الناس بقوله:

﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يونس: ٨٣

فماذا فعل الله به ؟

بطش به وبجنوده أجمعين، قال تعالى

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ القصص: ٤٠

وأما ثمود فقد جاء في صفتهم على لسان نبيهم صالح عليه السلام:

﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأعراف: ٧٤

واقتران ذكرهم بذكر عاد فيه إشارة إلى زيادة في نبيهم الجسدية وبالتالي فيما هم عليه من قوة، إذ قال في عاد

﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ الأعراف: ٦٩

فكيف بطش بهم العالمين ؟

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾هود: ٦٧

وفي ذكر فرعون وثمود يتجلى مافي كلمة ﴿ بطش ﴾ من دلالة القوة وسرعة الأخذ ففي لحظة واحدة قُضي على فرعون وجنوده غرقاً، وفي لحظة واحدة قُضي على ثمود لأنهم سمعوا الصيحة جميعاً في وقت واحد، فماتوا في وقت واحد

٥ – التفات إلى سبب النزول

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾البروج: ١٩ - ٢٢

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ ﴾

- سور القرآن ليست منفصلة عن بعضها البعض، ولاعن ملاحظة ما يحدث في موكب مايدعو إليه القرآن، ومناسبة سورة البروج أن المشركين كذبوا بما يدعو إليه القرآن، ولم يكتفوا بالتكذيب بل وضطهدوا الذين آمنوا بالله ورسوله، وعندما اشتدت وطأة الاضطهاد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين قص الله عليهم خبر أصحاب الأخدود وبين في طياته سنتة في عباده، وهي البطش بالذين يفتنون المؤنين والمؤمنات وقد أجرى الله هذه السنة على مشركي مكة فقُتل سادتهم وأشرافهم وأُسر بعضهم وأذل من بقى منهم وذلك في يوم بدر، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾آل عمران: ١٢٣

﴿فِي تَكۡذِيبٖ﴾ : حرف الجر ﴿ في ﴾ حرف يفيد الظرفية، فكان في استخدامه إشارة إلى مبالغتهم في التكذيب، فهم غارقون فيه. أما التكذيب فيتوجه إلى التكذيب بفكرة الإله الواحد وخبر اليوم الآخر، والتكذيب مصدر وفعله: كذّب، وهو فعل مضعف العين، والتضعيف يفيد المبالغة في الفعل، فهو بذلك يتضافر مع دلالة ﴿ في ﴾ البيان شدة تكذيبهم بما يدعو إليه القرآن .

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾البروج: ٢٠

- ﴿ من ورائهم ﴾ الوراء جهة من جهات المكان، والله عز وجل منزه عن الحيز، فهو الأول فليس قلبه شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء، وعلى ذلك فإن نسبة الوراء إلى الله حمل دلالة مخصوصة تراعى مايليق به، ولكي نوضح هذه الدلالة نضرب لها مثلاً برجل يقف في خطيرة ما، فهو حال وجوده فيها محاط بها ، فإذا خرج منها كانت من ورائه.□

والسموات والأرض وما فيهن خلق الله تعالى، والكل يدور في فلك التسبيح لله، فهم بذلك في حظيرة الرحمن، إلا ماكان من الإنس والجن الذين قدّر الله فيها هبة الاختيار بين الكفر والإيمان، فإذا اختار الإنسان الكفر فقد أخرج نفسه من حظيرة التأله لله تعالى وجعل هذا المعنى وراء ظهره، قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام:

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِۖ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢﴾هود: ٩٢

فالوراء في نص الآية يشير إلى ماانتهجه أولئك الكافرون في النظر إلى حقيقة الإيمان بالله وحده، إذ أعرضوا عنها وجعلوها من ورائهم.

- ﴿ محيط ﴾ وصف جل شأنه نفسه بهذه الصفة في مواضع عديدة من كتابة الكريم، وقد تردد ذكر الإحاطة بين شيئين، الإحاطة بالناس والإحاطة بما يعلمون، وفعل الإحاطة يتعدى بالحرف، فيقال : أحاط بكذان وكذلك اسم الفاعل منه، فيقال مُحيط بكذا، ونلاحظ أن الآية لم تذكر متعلق هذه الصفة، فكان في ترك ذكر المتعلق توجهاً إلى إرادة الأمرين، أي محيط بالذين كفروا ومحيط بما يعملون.

والله محيط بهم وبما يعملون إحاطة علم وإحاطة قدرة، فلو شاء لأخذ الذين كفروا أخذ عزيز مقتدر، ولو شاء لرد أذاهم عن المؤمنين والمؤمنات، ولكنه يتخذ فيهم سنة الإمهال، ليبتلى المؤمنين والكافرين، وهي الغاية التي استخلف من أجلها الإنسان في الأرض

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ البروج: ٢١

- ﴿ بل ﴾ حرف عطف يفيد الإضراب عما قبله وإثبات مابعده، أما الشيء الذي تم الإضراب عنه فهو ادعاء الكافرين أن مايتلوه عليهم محمد صلى الله عليه وسلم ليس وحياً من السماء، والذي دفعهم إلى هذا الادعاء رفضهم أن يؤمنوا بوحدانية الله واليوم الآخر، وهو مادعاهم الي فتنة المؤمنين والمؤمنات فجاءت هذه السورة للتخفيف مما يجده المؤمنون من معاناه بذكر خبر أصحاب الأخدود، ثم عاد إلى أصل القضية كلها وهو تكذيب الذين كفروا بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وأعلن أنه ﴿ قرآن كريم ﴾ في لوح محفوظ
- ﴿ قرآن مجيد ﴾ تبين لنا فيما سبق دلالة ﴿ المجيد ﴾ على ذي العطاءات العظيمة، وهاهو جل شأنه يصف كتابه العظيم بهذه الصفة، فهو كتاب جليل العطاءات حتى إنها لتستعصي على العد والأحصاء، وأجمل ماأجده في بيان عطاءات القرآن ماروي عن على رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ ستكون فتن كقطع الليل المظلم ﴾ قلت يارسول الله، ومالمخرج منها ؟ قال: ﴿ كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم وخبر مابعدكم وحُكْم مابينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لاتزيغ به الأهواء، ولاتلتبس به الألسنة، ولاتتشعب معه الآراء، ولايشبع منه العلماء، ولايمله الأتقياء، ولايخلق على كثرة الرد ولاتنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً . من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ﴾ رواه الترمذي.

فعطاءات القرآن عطاءات عظيمة، وهي دلالة وصفة ﴿ مجيد ﴾ ولو أردنا سرد مافي القرآن من عطاءات لاستغرق منا الأمر كتباً عديدة إلا أنني أكتفي بالإشارة إلى العطاء الأعظم وهو هداية الإنسان إلى معرفة ربه معرفةً لايعتريها خلل أو نقصان.

﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢ ﴾ البروج: ٢٢

الآيتان متصلتان ووجه اتصالهما أنهما جاءتا وصفاً للقرآن، فالأصل بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح

وعلى ذلك فإن القراءة الأولى لكلمة ﴿ محفوظ ﴾ هي الرفع، لأن الموصوف ﴿ قرآن ﴾ مرفوع، مع أن القراءة، لأشهر لكلمة ﴿ محفوظ ﴾هي الجر على أساس أنها صفة لكلمة ﴿ لوح ﴾ المجرور وفي جواز القراءتين إبداع بياني يوقع دلالة الحفظ على القرآن وعلى اللوح ، ومما جاء في القرآن.

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ الحجر: ٩

وجاء في شأن اللوح المحفوظ

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ الواقعة: ٧٧ ــ ٧٨

﴿ المكنون ﴾ المصون، أي المحفوظ .

فهذا الذي تسمعونه أيهما الكافرون من محمد صلى الله عليه وسلم ليس قولاً تم إنتاجه في الأرض، إنما هو مما دونه العليم ، إنما هو مما دونه العليم الحكيم في اللوح المحفوظ في السماء السابعة .

وقد فُصل بين الصفتين ﴿ مجيد ، محفوظ ﴾بفاصل رقمي إشارة إلى أن مجد القرآن لم تُساهم فيه دلالة كونه محفوظاً، إنما هو مجيد لأنه كلام ﴿ المجيد ﴾ جل شأنه، فكلامه سبحانه كذاته موصوف بالكامل والجلال والجمال. وهذا الوجه كنت قد أشرت إليه في سورة ﴿ عبس ﴾ في قوله تعالى: ﴿ في صحف مكرمة ﴾

الخط البياني

فيما يلي مخطط عام يظهر مابين مقاطع ودلالات السورة من ارتباط وثيق:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾	أصحاب الأخدود { المشهد الخاص}
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾	{ المشهد العام } مآل أصحاب الأخدود ومآل المؤمنين.
﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾	قدرة الله على تحقيق المآلين
﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ ﴾	شاهد على هذه القدرة
﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢ ﴾	التفات إلى سبب ذكر خبر أصحاب الأخدود